منجنيق الغرب وكتابه المداواة

مها الجهني

من العلوم التي ألف فيها العديد من مؤلفي العرب و العجم المعاصرين و تنوعت مؤلفاتهم فيها "علم الذات"و معالجتها ، وتطويرها ، علم الأخلاق و تهذيبها ، علم فن التعامل مع الأخرين ، علم الشخصيات و أنواعها ، و غيرها من المواضيع المتعلقة في هذا المجال .

كنت أعتقد أن هذه العلوم من العلوم الجديدة التي لم يسبق لأحد من العلماء القدامى الكتابة عنها والتأليف فيها بعمق وتفصيل حتى شاهدت قبل فترة بودكاست (قلق الأسئلة) للأستاذ ياسر الحزيمي حيث كان عنوان الحلقة عن (المداواة) وكان ضيف تلك الحلقة الأستاذ عبدالله بن صلاح حيث ذكر الضيف الفاضل أن هناك من العرب القدامى من أبحر في هذا الفن وعلومه و ذكر منهم الملقب بـ "منجنيق الغرب" الإمام ابن حزم الأندلسي قال أن له كتاب نفيس و عميق في هذا العلم اسمه (مداواة النفوس وتهذيب الأخلاق) .

لذا بدأت ابحث عن هذا الكتاب حتى أُبحر بين صفحاته ، فعندما بدأت أقرأ فيه أذهلني كثيرا العمق الذي في تفاصيله و العجيب فيه أنه تناول الكثير من الشخصيات وتحدث بعمق عن طباعهم و أخلاقهم ، و أساليب تعاملهم مع بعضهم ، و كيفية تهذيب الأخلاق و الذات ، التي كثير من علماء العصر أسهبوا فيها من خلال الدورات و البرامج وألفوا لها العديد من الكتب الوفيرة في دور الكتب ..

يتناول الكتاب عدة فصول منها :
- فصل في مداراة النفوس .
- فصل في أبواب العقل والراحة .
- فصل فيما يتعامل به الناس في الأخلاق .
- فصل في مداواة أدواء الأخلاق الفاسدة .
- فصل في غرائب أخلاق الناس .
- فصل في مطامع النفس وعلاجها.

سأعرض لكم بعضا من أقواله في هذا الكتاب القيم :

* طرح المبالاة بكلام الناس و استعمال المبالاة بكلام الخالق عز وجل بل هو العقل كله والراحة كلها .
* طوبي لمن علم من عيوب نفسه أكثر مما يعلم الناس منها ..
* أن المحبة كلها من جنس واحد لكنها تختلف أنواعها على قدر اختلاف الأغراض فيها ..
* الطمع أصل لكل ذل و لكل هم ..
* اقتنع بمن عندك يقتنع بك من عندك ..
* السعيد في المحبة هو من ابتلى بمن يقدر أن يلقي عليه ثقله ولا تلحقه في مواصلته تبعه من الله عز وجل ولا ملامة من الناس ..
*درج المحبة خمسة أولها الاستحسان ثم الإعجاب ثم الألفة ثم الكلف ثم الشغف ..
*حد العقل استعمال الطاعات والفضائل وهذا الحد فيه اجتناب المعاصي والرذائل ..
* إياك و موافقة الجليس السيء ومساعدة أهل زمانك فيما يضرك في أخراك أو في دنياك وإن قل ، فإنك لا تستفيد إلا الندامه حيث لا ينفع الندم ولن يحمدك امرؤ ساعدته بل يشمت بك ..
* إياك ومخالفة الجليس ومعارضة أهل زمانك في مالا يضرك في دنياك ولا أخراك وإن قل فإنك لا تستفيد بذلك إلا الأذى والمنافرة والعداوة ..
* الخيانة في الأعراض أشد من الخيانة في الأموال ..
* كلما نقص العقل توهم صاحبه أنه أوفر الناس عقلا و أكمل تمييزاً.

و اختم بمقولة لصاحب الكتاب النفيس :
"من العجائب أن الفضائل مستحسنة ومستثقلة ، والرذائل مستقبحة ومستخفة ..".

مها الجهني